المقتطف

الجزء السادس من السنة التاسعة عشرة

يونيو (حزيران) سنة ١٨٩٥ الموافق ٨ ذي الحجة سنة ١٣١٢

الحكومة والصحة

قال افلاطون الحكيم " لا تنجو البلاد من المصاعب ولا العباد من المتاعب ولا تبلغ الامة ما تتمناهُ لها من الارتقاء ما لم يصر الفلاسفة حكاماً او الحكام فلاسفة وتتحد الادارة بالفلسفة ويُبعَد كل مَن يطلب الواحدة دون الاخرى "

هذا تمهيد نقدِّمهُ لكليات دعتِ الحاجة الى ذكرها الآن . فان الهواء الاصفر قد صار منّا على قاب قوسين او ادنى شأنهُ كل عام في مثال هذه الايام منذ بضع سنوات الى الآن حين يجتمع الحجاج في مكة المكرمة لوفود بعضهم من بلاد ضرب الهواء الاصفر فيها اطنابهُ ولان اسالب السفر برًّا وبحرًا قد قرَّبت الابعاد فصار من فيهِ جراثيم هذا الوباء يبلغ الحجاز قبل ان ينتك بهِ فتنتقل العدوى منهُ الى الذين حولهُ اذا لم يتقوها

والهواء الاصفر هذا الوباء المقيم عدوٌّ ألدُّ لمن يهمل امرهُ وعبد ذليل لمن يأخذ بناصيتهِ ويضيق عليهِ المسالك . وهو ينشأ في بلاد الهند وقد ذكرهُ كتَّابها منذ الفين وثلثمئة سنة ولكن لم يشتهر امرهُ الاَّ في اواخر القرن الماضي ولم يبلغ اوربا الاَّ سنة ١٨٣٠ حينما دخل روسيا وبولونيا وعاث فيهما وبلغ ڤينَّا وبرلين وهمبرج في العام التالي ووصل الى انكلترا في اواخر ذلك العام وحملتهُ بعض السفن الى اميركا . ثم تكرَّر ونودهُ الى اوربا مرارًا ولم يزل في بعض جهات روسيا وبر الاناضول الى الآن ولكنهُ صار خفيف الوطأة جدًّا لانَّ علماء البكتيريا ازاحوا الستار عن حقيقتهِ وعلَّموا الناس كيفيَّة اتقائهِ

قلنا ان الهند وطن الهواء الاصفر ومنبت اصلهِ ففيها ينشأ ومنها ينتشر وهو مستقرٌّ في بقاع واسعة منها لاصباب معلومة لا يمكن تلافيها كلها لكن انتشارهُ منها سيُتلافى مع

الزمان لان الماء مهدهُ فاذا أُتي بهِ نقيًّا الى كل مدينة وقرية وكفر حتى لا يشرب الاهلون الاَّ منهُ زال الهواء الاصفر واستئصلت شأفتهُ

وقد بيَّن الدكتور محسن مدير الصحة في كلكتا ببلاد الهند ان الذين في بيوتهم ماء خزير نقي وهم الاوربيون واغنياء الهنود لا يفشو الهواء الاصفر بينهم ولا يصاب بهِ منهم الاَّ قليلون . واما جمهور الاهالي الذين يعتمدون على مياه الحياض فيفشو فيهم كلما تلوَّث حوض منها ببرزات شخص مصاب بهِ . والهنود يغتسلون ويغسلون امتعتهم في الحياض ويشربون منها ايضاً كما يفعل جمهور المصريين في بلاد الريف لانهُ ليس عندهم ماء آخر

وقد كان الهواء الاصفر يفشو كل سنة في مدينة مدراس بالهند ويفتك باهاليها فتكاً ذريعاً ثم أُتي اليها بمياه نقية فاستئصل منها . وهذا شأن مدن كثيرة وقيت منهُ بعد ان جُرَّ اليها ماء نقي يستقي منهُ اهاليها . ومن اوضح الامثلة على فعل التدابير الصحيَّة بمنع هذا الوباء ما كتبهُ الدكتور كلين زعيم علماء البكتيريا في العام الماضي قال

ان الهنود يحملون جراثيم الكوليرا من الاسواق الدينيَّة (الموالد) الَّتي يجتمعون فيها ولا سيما من سوق هردوار وهي مدينة على نهر الكنك يجتمع فيها جمع غفير منهم كل اثني عشرة سنة وغرضهم الاكبر الاغتسال بماء نهر الكنك المقدَّس والشرب منهُ. وقد بلغ عددهم سنة ١٨٩١ زهاء مليون نفس وبجانب تلك المدينة بركة كبيرة من نهر الكنك ينزل الهنود اليها ليغتسلوا فيها ويشربوا من مائها. وقد يبلغ عدد المغتسلين فيها يوميًّا ثلثمئة الف نفس فاذا كان احدهم آتياً من بلاد مصابة بالكوليرا وتلطخت المياه ببرزاتهِ انتشرت الكوليرا بين ذلك الجمع الذي يستقي منها وسارت معهم الى بلدانهم حين عودتهم اليها

ولما دنا وقت اقامة هذه السوق سنة ١٨٩١ اخذ رجال الحكومة في بلاد الهند ينظرون في ما اذا كان منعها مستطاعاً لهم فوجدوا ذلك ضرباً من المحال لانها فرض ديني على الهنود فلجأوا الى التدابير الصحيَّة ونزحوا الماء والاقذار من البركة المشار اليها ونظفوها جيدًا واقاموا مستشفيات كثيرة لعلاج المصابين بالكوليرا حينما تظهر فيهم وفرَّقوا الشرطة والاطباء في كل الارض الَّتي تقام السوق فيها وغرضهم من هذه التدابير حفظ النظافة العامة ونقل كل مصاب بالكوليرا الى اقرب مستشفىً حالما يصاب بها لكي لا تنتقل العدوى منهُ الى غيرهِ

فجاء الزوَّار من بلدان مصابة بالكوليرا وأُصيب بها اثنان في تلك السوق ولكنهما

فصلا عن الجمع حالاً فلم تنتشر العدوى منهما الى غيرهما وانتهت السوق ولم يصب بها احد آخر. وهذا من اغرب ما ذكر في تاريخ التدابير الصحيَّة وبهِ تأيد الحكم الذي ذكرناهُ سابقاً وهو ان الكوليرا مرض سهل معهُ . ولو لم تُتخذ هذه التدابير الصحيَّة لانتشرت حالاً في ذلك الجمع المزدحم انتشار النار في الهشيم وامتدَّت بواسطتهم الى كل بلاد الهند

وقد ثبت الآن ان الكوليرا والتيفويد مرضان من امراض المبرزات اي ان عدواها تكون في مبرزات المصاب بهما وتتصل الى السليم اما بالماء الذي تلوَّث بتلك المبرزات او بالطعام الذي تلوَّث بها او بالايدي الَّتي تلطخت بمسكها ثياب المصاب بها وامتعتهِ الملطخة بمبرزاتهِ . ولما ثبتت هذه الحقائق بالامتحان اقرَّ الاطباء على ان يُفصل المصاب بالكوليرا عن الاصحَّاء وتطهَّر امتعتهُ ومبرزاتهُ او تُحرَق حرقًا وتُمنَع من الوصول الى ماء الشرب ومواد الطعام . ويُبالغ في تنظيف اليدين وتطهيرهما اذا مسكتا امتعة المصاب

هذه هي الوسائل الَّتي منعت انتشار الكوليرا في الهند وفي المانيا وانكلترا وهي تستلزم امرين جوهريين الاول ان تكون البلاد قد استوفت حقَّها من التدابير الصحيَّة قبلما تتعرض لانتشار الكوليرا فيها . والثاني ان يُبادَر عند ظهور اول حادثة منها الى فصل المصاب بها عن غيرهِ وتستعمل المطهِّرات لمبرزاتهِ وامتعتهِ حالاً . واذا لم يُلتفت الى الحوادث الاولى او كانت التدابير الصحيَّة على غير ما يرام انتشرت الكوليرا حالاً واتَّسع الخرق على الراقع

هذا طرف ممَّا نشرناهُ في المقتطف في العام الماضي والذي قبلهُ. وقد انبأت الرسائل التلغرافيَّة الآن ان الكوليرا ظهرت في الحجاز ولكنها لم تنتشر فيهِ دلالةً على ان المنوط بهم امر الصحَّة تلافوا الخطب من اولهِ . وقد انتصف الشهر والوفيات بها ثقلُ يومًا فيومًا فعسى ان يستأصلوا شأفتها قبل خنامهِ والاَّ فلا عذر لهم لان ما كان ميسورًا في هردوار ببلاد الهند والهنود على ما تقدَّم من التعرُّض لها وعدد الزوار منهم مليون نفس لا يتعذَّر على اولياء الامر في مكة المكرَّمة اذا علموا كيف يتقون هذا الوباء ويستأصلون شأفتهُ

وقد اطلعنا الآن على منشور نشرتهُ نظارة الداخليَّة المصريَّة في مديريَّات القطر ومحافظاتهِ وممَّا جاء فيهِ " ان تسدَّ جميع مجاري المراحيض الَّتي تصل بالنيل او بالترع او بالبرك وذلك بعد مخابرة نظارة الداخليَّة في شأنها ". ولا ندري ما معنى هذا الشرط الاخير . ألا تعلم نظارة الداخليَّة ان زنوج افريقية ومتوحشي اوستراليا صاروا يعلمون انهُ لا يجوز اتصال المراحيض بالترع والبرك الَّتي يستقي منها السكان وان من يبيح

للناس ايصال المراحيض بماء الشرب وبيدهِ منعهم كمن يبيح لهم ان يقتلوا بعضهم بعضاً

ومن يطالع هذا المنشور وغيرهُ من المنشورات الصحيَّة يرى كأن ايدي رجال الصحة مغلولة عن العمل لاسباب اخصها اثنان الاول ان الذين بيدهم ادارة البلاد لا يقدِّرون التدابير الصحيَّة قدرها . وهذه حالٌ عواقبها وخيمة على الاهلين فاذا كانت الحكومة تطالب الحاكم اشد المطالبة اذا اهمل امر شقي يقتل في سنتهِ رجلاً او رجلين ولا يقتفي اثرهُ ويقبض عليهِ ويريح الناس من شرهِ فكيف ترضى عن حاكم يهمل لصوص الميكروبات وهي اخبث من ذلك الشقي وانتك تقتل مئات بل الوفاً كل عام وكلها مما يمكن القبض عليهِ وازالة شرهِ لو فهم الحاكم ماهي التدابير الَّتي يشير بها ديوان الصحة وعرف كيف يعمل بها

والثاني ان المال المخصص للتدابير الصحيَّة لا يكفي لها ولا لعشر ما تحتاج اليهِ البلاد منها . والظاهر ان الذين بيدهم توزيع المال على دوائر الحكومة لا يدركون ذلك والاَّ لما انفقوا على حفظ البلاد من العدو الظاهر عشرة اضعاف ما ينفقون على حفظها من الاعداء الخفيَّة وهي افتك بها من العدو الظاهر اضعافاً مضاعفة

وهذان الامران يجملاننا نردِّد ما قالهُ افلاطون الحكيم منذ الفين وثلثمئة عام وهو ان البلاد لا تنجو من المصاعب ولا العباد من المتاعب ولا تبلغ الامة ما تتمناهُ لها من الارتقاء ما لم يصر الفلاسفة حكاماً او الحكام فلاسفة وتتحد الادارة بالفلسفة ويبعد كل من يطلب الواحدة دون الاخرى

الاستاذ دانا

JAMES DWIGHT DANA.

هو الدكتور جمس دويت دانا استاذ الجيولوجيا والمنرالوجيا في مدرسة يال الكليَّة واحد محرري جريدة العلم الاميركيَّة . توفي فجأةً في الرابع عشر من شهر ابريل الماضي عن اثنين وثمانين عاماً وشهرين . وكان منذ نعومة اظفارهِ مولعاً بالعلوم الطبيعيَّة يجرب التجارب الكيماويَّة ويخطب فيها الخطب وهو في الثانية عشرة من عمرهِ ويسير من مكان الى آخر يفتِّش عن الحجارة المعدنيَّة فزادت رغبتهُ في هذه المباحث بتقدمهِ في السن حتى صار من اكبر العلماء المحققين في فني الجيولوجيا والمينرالوجيا اي علم طبقات الارض وعلم معادنها

وسمع وهو في السابعة عشرة من عمرهِ بالاستاذ سلمن الكيماوي فقصدهُ الى مدرسة يال الكليَّة وانتظم في حلقتهِ واخذ عنهُ علم الكيمياء وعن غيرهِ من الاساتذة سائر العلوم